المغـاربـــة فـــي القـدس الشـــريف من بداية الغزو الصليبي وحتى نهاية الفترة المملوكية

٤٩٢هـ/١٠٩٩م - ٩٢٢هـ/١٥١٦م

تاريخ النشر: ٢٠/١٢/٢٠٢٥م (العدد (٢٩)، شتاء ٢٠٢٦م)

المؤلف: **أ. د. عبد الرحمن محمد حامد العالم المغربي.**

سنة النشر: **٢٠٢٥م.**

الناشر: House Publishing TASQ

حجم الكتاب: **٣٠٧ صفحات، من القطع العادي (٢٤سم × ١٧سم).**

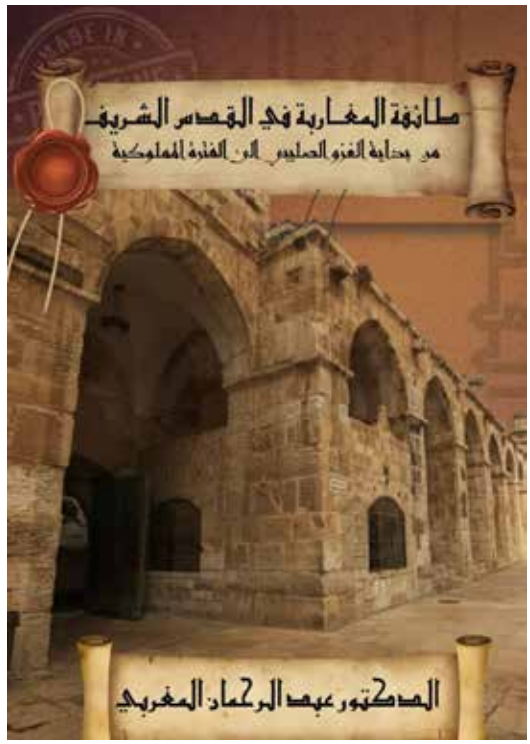

يتنـاول هـذا الكتـاب الحديـث عـن المغاربـة في القـدس، عـبر حضـور قـوي

فيها منذ أن اعتنقوا الإسلام وأصبحوا دعاة له، وكانت القدس مركزاً محورياً في تحركاتهم نحو الشرق، أو أثناء توجههم لأداء فريضة الحج أو أثناء عودتهم منها، وكانت مناسك الحج لا تكتمل عندهم إلا بزيارة هذه المدينة، والصلاة في أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، يجاور كثير منهم قرب الحرم القدسي الشريف، ينعمون بقربه بقية حياتهم، ومع الزمن تكاثروا وزاد عددهم، وأصبحوا طائفة لها حضور مميز في المجتمع المقدسي، وأصبحوا جزءاً لا يتجزأ من المشهد الحضاري لهذه المدينة.

لقد شكّل المغاربة، الذين استقروا في القدس، منذ الفتح على يد صلاح الدين الأيوبي، والبعثات العلمية، وحارتهم غرب الحرم القدسي الشريف، اسطورة الثبات والصمود والبقاء، وهذا ما جعل القضية الفلسطينية منذ نشأتها محورًا من محاور الثقافة السياسية، وتعبيرًا عن الانتماء الحضاري الموحد والكفاح النضالي للمقاومين في المغرب وفلسطين.

يأتي هذا الكتاب ليوثق الذاكرة المشتركة بين فلسطين ونضالها ودمائها وثباتها، وبين شعوب المغرب العربي التي وقفت وساندت واندمجت على ارضها الدماء المغاربية والفلسطينية في اسطورة ملحمية لا تزال فصولها تُقرأ وتكتب إلى اليوم، وهو عبارة عن دراسة تاريخية معمّقة توثّق الوجود المغاربي العريق في مدينة القدس الشريف، منذ الغزو الصليبي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي وحتى نهاية العهد المملوكي في مطلع القرن السادس عشر. فقد اعتمد المؤلف على وثائق ومخطوطات نادرة وسجلات أوقاف ومصادر تاريخية أصيلة ليعيد بناء الصورة الكاملة للحياة الروحية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية للطائفة المغاربية في القدس، بخاصة في حارة المغاربة الملاصقة للمسجد الأقصى، التي دمّرها الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧م.

يسلط الكتاب الضوء على دور أبناء المغرب الكبير –من المغرب الأقصى، والجزائر، وتونس، والأندلس – في الدفاع عن المدينة المقدسة، وفي إثراء

مشـــهدها الحضـــاري والعلمـــي، وعـــلى مـــا تركـــوه مـــن آثـــار عمرانيـــة وزوايـــا وأوقـــاف تشـــهد عـــلى عمـــق انتمائهـــم الروحـــي لفلســـطين والقـــدس.

كمـــا يســـلط الضـــوء عـــلى الوجـــود المغاربـــي في مدينـــة القـــدس خـــلال العصـــور الإســـلامية الوســـطى، وتفاعلهـــم ضمـــن الطوائـــف الإســـلامية الأخـــرى، وعلاقاتهـــم مـــع الطوائـــف غـــير الإســـلامية في هـــذه المدينـــة، وقـــد شـــكلت في مجموعهـــا المشـــهد الـــذي يمتـــاز بالتعـــدد والتنـــوع والحيويـــة، الـــذي أضفـــى عليهـــا بعـــدًا روحيًّـــا كبـــيراً عنـــد معظـــم بنـــي البـــشر تقريبًـــا، كمـــا تهـــدف إلى لفـــت الأنظـــار إلى معاناة هـــذه الطائفـــة وصمودهـــا بعـــد إقـــدام الاحتـــلال الإسرائيـــلي عـــلى هـــدم حارتهـــم في القـــدس عـــام ١٩٦٧م، وتـــشرد الســـكان المغاربـــة منهـــا بالقـــوة عـــام ١٩٦٧م، بعـــد أن عاشـــوا فيهـــا وأصبحـــوا جـــزءًا مـــن مجتمعهـــا منـــذ مئـــات الســـنين.

تســـاعدنا دراســـة العلاقـــات بـــين الـــشرق الإســـلامي والمغـــرب في فهـــم العوامـــل التـــي دفعـــت بالعديـــد مـــن المغاربـــة إلى الهجـــرة إلى الشـــام بشـــكل عـــام، والقـــدس بشـــكل خـــاص، والمجـــاورة والاســـتقرار فيهـــا، ويمكـــن فهـــم ذلـــك في إطـــار التعـــاون العســـكري بـــين الـــدول الإســـلامية في مواجهـــة التحديـــات الخارجيـــة، ويمكـــن فهمـــه أيضًـــا في إطـــار العاطفـــة الدينيـــة المتجـــددة تجـــاه مدينـــة القـــدس التـــي ضمـــت بـــين جنباتهـــا الحـــرم القـــدسي الشريـــف الـــذي شـــهد معجـــزة الإسراء والمعـــراج.

وقـــد جـــاءت هـــذه الدراســـة في ثمانيـــة فصـــول، تنـــاول الفصـــل الأول منهـــا تحليـــل مصـــادر الدراســـة وخصوصـــا الوثائـــق غـــير المنشـــورة التـــي اعتمـــدت هـــذه الدراســـة عـــلى جانـــب كبـــير منهـــا. أمـــا الفصـــل الثانـــي فقـــد تنـــاول القـــدس والمغـــرب دراســـة في الزمـــان والمـــكان والعلاقـــات، حيـــث تناولـــت البعديـــن الزمانـــي والمكانـــي والترابـــط بينهمـــا، والظـــروف والعوامـــل التـــي مهـــدت لهجـــرة المغاربـــة واســـتقرارهم في هـــذه المدينـــة. في حـــين تنـــاول الفصـــل الثالـــث دور المغاربـــة في الدفـــاع عـــن مدينـــة القـــدس الشريـــف إثـــر تعرضهـــا لغـــزو الصليبيـــين الفرنجـــة. حيـــث تـــم تفريـــغ هـــذه المدينـــة تقريبـــاً مـــن ســـكانها العـــرب المســـلمين، وتصـــدي المغاربـــة خـــلال هـــذه الفـــترة عـــلى

لهجمات المحتلين الفرنجة على المستويين الرسمي والشعبي.

استعرض الباحث في الفصل الرابع الرحالة المغاربة إلى القدس الشريف، وتمت دراسة مكثفة لحياتهم ورحلاتهم وبرامجهم، وكتاباتهم في موضوع فضائل القدس الشريف، ويجب التنويه هنا إلى أن رحلة العديد من المغاربة كانت جزءًا من رحلتهم إلى الشرق الإسلامي، وخصوصًا لأداء فريضة الحج إلى الديار الحجازية المقدسة.

جاء الفصل الخامس للحديث عن المغاربة والأسباب التي دفعت الكثير منهم إلى المجاورة قرب المسجد الأقصى، والأوقاف التي حبسها عدد منهم لصالح الطائفة سواء في مدينة القدس أو ضواحيها، وفي مناطق أخرى في فلسطين. **وجاء** الفصل السادس للحديث عن أوضاع المغاربة الإدارية في مدينة القدس الشريف، وأهم الوظائف التي استحدثت لتنظيم حياتهم في هذه المدينة، كما تم الحديث عن الأوضاع الاقتصادية التي عاشوها والأعمال التي عملوا بها في ضوء عدم كفاية الأوقاف لسد متطلبات حياتهم، إضافة إلى الحديث عن أوضاعهم الاجتماعية وعلاقتهم بالطوائف الأخرى، وتم الحديث أيضًا عن الحياة العلمية التي تميزت بغنى واضح ومميز تجلى في نبوغ العديد من المجاورين مجالات العلوم الدينية والإنسانية، مثل الفقه، والحديث، والتفسير، والتاريخ، والتصوف.

وفي الفصل السابع، تم الحديث عن المنشآت المعمارية التي عاش فيها المغاربة في القدس الشريف، خصوصًا حارة المغاربة الملاصقة للحرم القدسي الشريف من جهة الغرب، والتي لم يبق منها –للأسف – بسبب الاحتلال الإسرائيلي للمدينة عام ١٩٦٧م، وهدمهم حارة المغاربة سوى زاوية المغاربة، وجامع المغاربة، وبعض المنشآت الصغيرة الأخرى.

وجاء الفصل الثامن والأخير عبارة عن سجل مصغر لبعض وثائق

طائفة المغاربة في القدس الشريف، توضيحًا لتاريخ هذه الطائفة، وعنوانًا لوجودهم الدائم في مدينة الصلاة. كما شملت الدراسة صورًا، ومخططات، وملاحق توضح جوانب عديدة من حياة المغاربة في القدس الشريف خلال فترة الدراسة.

يمكننا من خلال هذه الدراسة التأكيد على ما يأتي:

- إن هذا الجو المفعم بالعلاقات الطيبة، والتعاون المشترك بين المشرق والمغرب، قد شجع المغاربة على الهجرة والمجاورة في القدس الشريف، والمدن المقدسة الأخرى في الحجاز، والاستقرار في هذه البقاع المقدسة وتكوين عائلات أصبحت جزءاً من المجتمع الذي عاشوا فيه، وتفاعلوا فيه بشكل واضح في المناحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأصبح لهم حضور قوي في المشهد الحضاري للمدينة المقدسة.

- إن هذا التنسيق السياسي والعسكري بين الشرق والمغرب جاء بسبب تعرض جناحي العالم الإسلامي للأخطار والتحديات الخارجية، فالشرق كان يعاني من هجمات المغول والصليبيين، والغرب كان يعاني من الضغط الصليبي في الأندلس، وعلى السواحل المغربية.

- إن المدن الإسلامية المقدسة كانت محط أنظار المغاربة لزيارتها المجاورة فيها، تعبيرًا عن عاطفة دينية قوية، وكانت مجالًا خصبًا للتعاون بين الطرفين على المستويين الرسمي والشعبي.

- إن هذه العلاقات السياسية البناءة قد حملت في طياتها تنسيقًا عسكريًّا كبيرًا بين الطرفين وخصوصاً في أوقات الأزمات، حيث حملت السفارات المتبادلة شرحًا مفصلًا لأخبار الطرف الآخر وجهاده، ودوره في مواجهة التحديات، واستعداد كل طرف لمساعدة

الطـرف الآخـر في المجـالات كافـة وبـكل الإمكانيـات، وهـذا مـا يفـسر وجـود المغاربـة في مدينـة القـدس الشريـف وغيرهـا مـن مـدن بـلاد الشـام، والحجـاز، ووجـود كثـير مـن أهـالي القـدس الشريـف، وبـلاد الشـام في المغـرب، في إطـار مـن التعـاون الوثيـق، والأخـوة بـين جناحـي العالـم الإسـلامي.